جاكسون كاتس

يعتبر جاكسون كاتس من أبرز المناهضين للعنف في الولايات المتحدة. أسس عام 1993 برنامج الوقاية من العنف في مركز دراسات الرياضة في المجتمع التابع لجامعة نورث ويسترن، ويدير منذ عام 1996 أول برنامج عالمي للوقاية من العنف بين الجنسين والتابع لقوات المارينز في الولايات المتحدة. وهو أيضاً أول برنامج من نوعه في تاريخ الجيش الأمريكي. وعمل من عام 2000 إلى عام 2003 عضواً في لجنة وزير الدفاع حول العنف في الجيش. وقام بإعداد مجموعة من أشرطة الفيديو التعليمية حول العنف والوقاية منه لطلبة الجامعات والمدارس وحازت على عدة جوائز تقديرية، ومن بين عناوين هذه الإصدارات "قناع الشدة: العنف، الإعلام وأزمة الرجولة.

جيرمي إيرب: كثر الحديث مؤخراً حول الفجوة بين الجنسين (الذكور والإناث) تجاه السياسة الأمريكية، إلا أن معظم الانتباه تركز على أنماط تصويت الإناث. ما هي نظرتكم لجانب الذكور-حقيقة أن الجمهوريين يحظون بإقبال متزايد من قبل ذكور الطبقة العاملة من الجنس الأبيض؟

من الواضح أن الحزب الجمهوري نجح في استقطاب أصوات الطبقة العاملة والذكور البيض في طول البلاد وعرضها، وبخاصة في الجنوب وعلى مدى عدة أجيال. وهذه الطبقة تصوت في غير صالحها. ومن هنا يطرح السؤال نفسه، لماذا؟ وأعتقد أنها ظاهرة مهمة تسترعي النظر والتدقيق. ومن الواضح أنها ترجح كفة الانتخابات وعلى كافة المستويات. وبالتأكيد في الانتخابات

obeikandi.com

الرئاسية. وإذا ما استطاع الحزب الديمقراطي أن يعرف سبب قيام الذكور البيض من الطبقة العاملة بالتصويت ضد مصالحهم حين يدلون بأصواتهم لصالح الحزب الجمهوري، ولو فعل الحزب الديمقراطي شيئاً لاستمالة هذه الطبقة إلى صفه لأحدث ذلك تحولاً جذرياً في سياسات الانتخابات الأمريكية في كافة المستويات.

جيرمي إيرب: ما هو تفسيركم لهذا التوجه؟ ما هو الشيء الذي يدفع هؤلاء الرجال إلى التصويت بهذه الطريقة؟

أعتقد أن العامل الرئيس الذي يدفع الرجل الأبيض من الطبقة العاملة إلى التصويت للحزب الجمهوري هو العرق. وهذا واضح جداً. فالحزب الجمهوري نجح في تأطير هوية الحزب بالجنس الأبيض مقابل الحزب الديمقراطي الذي تتحدد هويته بالأجناس الملونة. وتحديداً الأمريكان ذوي الأصل الإفريقي. ولكنني أعتقد أن الحزب الجمهوري حقق نجاحاً كبيراً أيضاً في تسويق فكرة أنه حزب الجنس الأبيض وخاصة الذكور منه تحديداً. واستطاعوا إضفاء طابع رجولي على الحزب وعلى مرشحيه لمختلف المناصب. ويستخدم الحزب الجمهوري لغة خطاب رجولي تضفي عليه صفة الرجولة في القضايا التي تطرح للمناقشات. لذلك أظن أن كثيراً من الذكور البيض من الطبقة العاملة يستجيبون لهذه الصورة ولهذا النداء. وهناك ضغط على أفراد هذه الفئة يدفعهم إلى الوقوف مع الحزب الجمهوري أذا أرادوا أن يظهروا بمظهر الرجال الحقيقيين. والوجه المقابل لتلك الصورة في ظل هذا الخطاب هو أن الحزب الديمقراطي انصبغ بالصبغة الأنثوية، وأصبحت الانطباع السائد عن الحزب الديمقراطي هو أنه حزب الإناث، أو حزب الذكور الذين يفتقرون إلى الرجولة. وعليه، إذا كنت رجلاً، ورجلاً أبيض تحديداً، ورجلاً أبيض من الطبقة الكادحة أكثر تحديداً، فإن انتماءك إلى الحزب الديمقراطي يتطلب منك القدرة على مقاومة الضغط الذي يعكس عنك صفة الخنوع، وانعدام الرجولة، وعدم الاحترام.

جيرمي إيرب: ماذا تعني مصطلحات "الرجولي" و "الأنثوي" في السياق الذي ذكرته؟ فهذه مفاهيم مجردة، كيف تتحدد في الإطار السياسي؟ كيف تتكشف لك في أحاديثك مع الأشخاص العاديين؟

هناك مقولات تتردد باستمرار في لغة الخطاب السياسي وفي المناقشات المحيطة بالحزب الجمهوري بالمقارنة مع الحزب الديمقراطي. فمثلاً يتردد دائماً أن الديمقراطيين ليّنون على الجريمة. وأنه رحماء بالمجرمين. وأنهم ضعاف في التعامل مع الشيوعية، خوّارون في التعامل مع الإرهاب. ضعاف في قضايا الدفاع. وبإمكانك أن تقارن ذلك بالنقاش الذي يحيط بالحزب الجمهوري. إذ يفترض دائماً أنهم أقوياء في قضايا الدفاع، أشداء على الجريمة، أشداء على الشيوعية خلال الحرب الباردة، وضمن هذه المقابلة المزدوجة بين القوي/الضعيف، حازم/غير حازم، محافظ متشدد/ ليبرالي خائر. إذا ألقيت نظرة على هذا الجدول المزدوج فإن الحزب الجمهوري يبرز بوصفه الحزب القوي، حزب الفائزين، حزب الشدة. وفي جميع الأحوال يخرج الديمقراطيون بوصفهم حزب الخاسرين، الحزب الضعيف، الحزب المتساهل مع الجريمة، المتساهل مع الإرهاب،..الخ. وأعتقد أن هذا ينعكس على المناقشات السائدة مع الرجال ومع النساء، بطريقة يمكن التنبؤ بنتائجها بسهولة.

جيرمي إيرب: أليس صحيحاً، رغم ذلك، أنك لو نظرت من خلال الأسلوب الذين يحكمون به وعلى الفوارق بين فلسفتهم السياسية أن الجمهوريين هم الحزب الأشد فعلاً؟

لا، وأعتقد أن هذا التفسير فيه إسفاف ولا يستقيم مع الواقع العملي. إلا أننا نتحدث عن الخطاب السياسي في مقابلة الواقع. وأعني أنك إذا سألت شخصا عادياً أبيض من الطبقة العاملة لماذا تؤيد الحزب الجمهوري، فإن إجابته في العادة ستكون "إنهم أقوياء في الدفاع. إنني أثق بهم في قضايا الأمن

القومي". وإذا سألته، كما كنت أفعل في كثير من المناسبات، "حسناً، ما هو الفرق بين إستراتيجيات الجمهوريين ومخصصات وأولويات الجمهوريين في قضايا الأمن القومي والدفاع وبين تعامل الديمقراطيين مع هذه القضايا؟" وسوف تجد أن هؤلاء الناس ليس لديهم جواب لأنهم لا يعرفون. وأعتقد أن ذلك بسبب استجابتهم للغة الخطاب. إنهم يستجيبون للصور وللانطباعات بدلاً من الاستجابة لمعاينتهم الشخصية للقضايا بإمعان. فعلى سبيل المثال، وفي قضايا الإنفاق العسكري، يدرك الخبراء العسكريون الفوارق بين هذا النظام الصاروخي أو ذاك النظام، أو الفارق بين الزيادة في هذه الميزانية أو تلك، إلا أن الشخص العادي لا يعرف من ذلك شيئاً. فالشخص العادي بما ذلك الناخب العادي، يدلي بصوته بناءً على الانطباع المتكون في ذهنه. وبإمكانك أن تسمع في المناقشات السياسية اليومية مع هؤلاء الأشخاص أن انطباعاتهم مؤسسة على أدلة واهية، وعلى الصور والكلام، على ضغط الأقران، وليس على معاينة واعية للقضية.

جيرمي إيرب: تعودنا في ثقافتنا السائدة هذه، على التفكير بأن النساء يغلب عليهن الجانب العاطفي، وأن الرجال أكثر هدوءاً واتزاناً من النساءً، وأن النساء يتأثرن بالمشاعر والعاطفة. وعليه، يمكن للمرء أن يستنتج أن العاطفة تعلب دوراً رئيساً في التأثير على طريقة تصويت النساء أكثر من تأثيرها على الرجال. إلا أن الحقيقة، وهذا له علاقة بما تحدثت عن آنفاً، وكما نعلم من استطلاعات الرأي المكثفة، هي أن النساء يملن إلى التصويت لصالح المرشح تأسيساً على موقفه من القضايا المهمة بالنسبة لهن. والمفارقة فيما ذكرته هو أن الرجال هم الذين يصوتون بحسب العاطفة.

هذا صحيح. ومن أعجب المفارقات في ذلك هو أنه في الوقت الذي يسود فيه انطباع عام أن الرجال أكثر عقلانية من النساء وأن النساء أشد عاطفة،

وعندما يتعلق الأمر بمجموعة من القضايا السياسية فإن بإمكانك إثبات أن الواقع هو العكس. إذ نجد أن النساء كفئة نوعية، ينزعن إلى اتخاذ قرارات أكثر عقلانية وأكثر منطقية في اختيار الطرف الذي يؤيدنه في الانتخابات اعتماداً على مواقف المرشح من قضايا الرعاية الصحية والتعليم والقضايا اليومية التي تؤثر على الأسرة والناس بشكل عام. في حين يغلب على الرجال الميل مع الإغراءات العاطفية كالشدة والشوكة الوطنية، والدفاع والأمن، والاقتصاد ضمن إطار عام، بدلاً من التدقيق في تفاصيل التوجه الاقتصادي التي يدفعهم إلى دعم هذا المرشح أو ذاك. لذلك فإن هذه القضية تعكس تركيبة الصورة النمطية التقليدية بأن النساء عاطفيات وأن الرجال عقلانيون.

جيرمي إيرب: يذكر روبرت كيغان وهو أحد منظري المحافظين الجدد في كتابه الذي نشر مؤخراً تحت عنوان "الجنة والسلطة" أن الولايات المتحدة تنحدر من كوكب المريخ وأن أوروبا تنحدر من كوكب الزهرة. ويقصد بذلك أن الأوروبيين، كالفرنسيين، يمكنهم الجلوس في المقاهي والتمادي في ازدراء الولايات المتحدة لأنها في نظرهم دولة تفتقر إلى التعقيد، دولة رعاة البقر، دولة تعربد على الدول الأخرى، متجاهلين أن القوة الأمريكية وشوكتها العسكرية هي صاحبة الفضل عليهم في تحقيق الأمان الذي يمكنهم في ظله الجلوس في تلك المقاهي والانخراط في نقدهم الفكري للولايات المتحدة. ويبدو أن هذه النظرة هي جوهر فلسفة المحافظين الجدد التي أصبحت محور سياسات حكومة بوش الحالية- أنه في عهد ما بعد 11 سبتمبر فإن القوة والشوكة هما أمران جوهريان، وأن العالم مكان محفوف بالمخاطر، وأن من السذاجة التفكير بأن المسالمة والموادعة ستحل مشاكلنا الأمنية. ما رأيك بذلك؟

إن من أبرز الوسائل التي حصل من خلالها المحافظون الجدد على الدعم والتأييد لمغامراتهم العسكرية العدوانية هي فكرة أن هناك أشراراً يتربصون بنا الدوائر، وأن السبيل الوحيد لوقف هؤلاء الأشرار ومنعهم من إيذائنا هو قيام الأخيار باستخدام قوة كبيرة كاسحة في القضاء عليهم. وهذه الحجة تبدو مقنعة ومنطقية للوهلة الأولى إذا كنت تجهل التفاصيل. لا أحد يناقش، ولا أعرف أحداً يجادل بأننا لسنا بحاجة إلى استخدام القوة في الدفاع عن أنفسنا ضد الإرهاب أو ضد أي شكل من أشكال العنف العدواني. فالسؤال إذن لا يتعلق بالحاجة إلى استخدام القوة، أو الحاجة إلى الدفاع عن أنفسنا. بل هو كيف ندافع عن أنفسنا ولماذا. السؤال الأساسي هو كيف نفعل ذلك وليس ما إذا كنا بحاجة إلى الدفاع عن أنفسنا أم لا. ولهذا السبب فإنني أرفض بشكل مطلق فكرة أن من يعارض أجندة بوش أو اليمين أو المحافظين الجدد كأنه يقول للأعداء "تعالوا هاجمونا لأننا سنبقى مكتوفي الأيدي ولن نقاوم." هذه الحجة هي في منتهى السخف. لا أحد يقول بذلك. هناك طرق حصيفة ومعقدة للتعامل مع الإرهاب غير القوة والتوسع في الهيمنة العسكرية الإمبريالية.

جيرمي إيرب: ذكرت لي شاديا دروري التي كتبت كثيراً حول الجذور الفلسفية للمحافظين الجدد، بأن فلسفة وأيديولوجية المحافظين الجدد مهووسة بفكرة "الرجولة"، وتحدثت حول الشعور بالكارثة التي تلوح في الأفق والخطر المحدق الذي يستحوذ على كتاباتهم، وأن جوهر أيديولوجيتهم هو أن هذا الخطر يتطلب رداً رجولياً حازماً في السياسات والممارسات. برأيك، هل هذه هي السمة المميزة للأيديولوجية المحافظة الجديدة، وبخاصة كما تتبدى في السياسة الخارجية لبوش، في كون هذه الأيديولوجية ذات طبيعة دفاعية أو هجومية مغالية؟

من الأمور الواضحة في خطابنا السياسي أن العمل الانفرادي يدل على الرجولة، بينما يُنظر إلى العمل الجماعي على اعتبار أنه من الخصائص الأنثوية. لذلك فإن بوش والمحافظين الجدد بأسلوبهم الانفرادي قد وضعوا أنفسهم في مرتبة الرجال الفاعلين الذين يبادرون بالعمل، على العكس من الذين يفضلون العمل الجماعي ويضيعون وقتهم بالكلام والمناقشات بينما يقوم الإرهابيون بأعمالهم الإرهابية. وهذا بالمناسبة واحد من أبرز حبكات أفلام الكاوبوي التي تنتجها هوليوود. حيث يتكرر مشهد سكان البلدة المذعورين من رجل شرير، ولكنهم عاجزون عن التعامل معه. فهم يتحدثون، ويذهبون إلى الكنيسة، ويصلون، ويتباحثون، ولكن لا شيء يجدي معه. والمخرج الوحيد لهم من هذا الكابوس هو عندما يأتي (جون وين) أو (كلينت إيستوود) إلى البلدة ممتطياً صهوة حصانه، لا يتكلم كثيراً، ولكنك تعرف أنه يحمل مسدساً على جانبه. وفجأة يبدأ بالتحرك وإطلاق النار على الرجل الشرير، وينقذ سكان البلدة. والشيء الذي أجده مثيراً حقاً في ذلك هو أن تشيني ينحدر فعلاً من ولاية وايومنغ (إحدى مقاطعات الكاوبوي من الناحية التاريخية) ولذلك فإن من الواضح أنه يهتم بفكرة محددة عن الرجولة تنبثق من أفلام الكاوبوي. وعلى الرغم من أنه شخص متعلم ومثقف إلا أنه يحب أن تحيط به هذه الهالة التي تقول بأن الكلام رخيص وأن الفعال هي التي تحدد الرجل. وهذا مقنع مظهرياً ودرامياً وسينمائياً. وهناك نقطة أخرى على صلة بهذا الموضوع وهي أنه عندما يوجه إلى بوش الانتقاد بأنه كاوبوي، كما يفعل الإعلام الغربي وغيره، وحتى هنا في الولايات المتحدة، وبينما يقصد من ذلك السخرية والاستهزاء، إلا أن هذه الصورة هي التي تعزز وتوسع من دعم وتأييد رجال الطبقة الكادحة من السكان البيض له. لأن الكاوبوي يحرك في النفسية الأمريكية انطباعاً قوياً وإيجابياً. وهذه الانطباعات مؤسسة على بعض الحقيقة، إلا أن معظمها مبني على الخرافات والأساطير المستقاة من الأفلام السينمائية والروايات الأدبية حول الكاوبوي والبيداء، ومن خرافة الفرد

الشديد قوي البنية. وأعتقد أن هذا جزء من جاذبية جورج بوش. لئن كان دك تشيني ينحدر فعلاً من ولاية وايومنغ إلا أن جورج بوش ينحدر من الشمال الشرقي للبلاد، وحظي بالدراسة في أرقى المدارس والجامعات الأمريكية. ومع ذلك نجده يحاول جاهداً أن يركز على انتمائه إلى تكساس وأنه من الكاوبوي. ونشاهد هذا النمط في المجلة تلو المجلة، حيث يظهر لابساً قبعة الكاوبوي، وحذاء الكاوبوي الطويل وهو يقطع أغصان الشجر في مزرعته. وما من شك أن ذلك يشكل جزءاً من الصورة المقصود منها أن تظهره بمظهر الرجل الماتشو والفتوّة. ويجد هذا الانطباع صدى واسعاً لدى ذكور الطبقة الكادحة من السكان البيض وبخاصة في الولايات الجنوبية، بل وفي أرجاء الولايات المتحدة بأسرها.

جيرمي إيرب: وماذا عن الانطباع السائد عن الأمم المتحدة في هذا السياق؟

الأمم المتحدة هي منظمة متعددة الأطراف بحسب تعريفها. وفيها يبدي الجميع آراءهم حول ما يطرح من قضيا وفق آليات شائكة ومعقدة. إنها ممارسة ديمقراطية على مستوى الدول. ويجري تصنيفها في الجانب "الأنثوي" أو الذكوري غير الكامل. والطريقة الفعالة لحل هذه المشاكل لا يكون بإجراء المناقشات المطولة حولها، ولا من خلال العملية الديمقراطية الموحلة بل بالتحرك والمبادرة بعمل اللازم. والولايات المتحدة تملك القوة، وبإمكانها فعل ذلك. وطريقة تفكير المحافظين الجدد هي أننا يجب أن نتصرف لأننا إذا لم نفعل فلن يقوم بهذه المهمة أحد. والشيء الذي لا يخضع للمساءلة هو ما الذي نحتاج إلى فعله. إننا بحاجة إلى احتلال هذه الدول، إننا بحاجة إلى زيادة الميزانية العسكرية، إننا بحاجة إلى زيادة الرقابة المحلية على المعارضة. والشخص الوحيد الذي يملك الشجاعة لفعل ذلك هو جورج بوش والمحافظون الجدد والحزب الجمهوري. أما الديمقراطيون فليس لديهم العزيمة على فعل ذلك، حتى وإن كانوا يعلمون أن

ذلك هو الإجراء الصحيح. وهي حجة تبدو مقنعة للوهلة الأولى إذا لم تسمع بأن هناك عدد من الطرق المختلفة للتعامل مع المشكلة دون أن تتطلب استخدام تلك التكتيكات التي تفرز ردود أفعال معاكسة. ومن الأمور التي لا يعيها كثير من الناس هي أن العدوان العسكري يشبه العنف بين الأفراد في أنه قد يبدو وكأنه قادم من نزعة عدوانية للسيطرة، وفي معظم الأحيان يستخدم العنف كوسيلة دفاعية قائمة على الخوف. بمعنى آخر، أنت توجه الضربة لأنك تخشى أن يسبقك الشخص الآخر في توجيه الضربة إليك. وهذا له صلة لما سماه جورج غيربنر"بمتلازمة العالم العدواني". والنقطة الأساسية التي يوضحها هي أن الناس حين يتعرضون إلى جرعات كبيرة من العنف الإعلامي، وبخاصة الأولاد، فإنهم على الأرجح سينظرون إلى العنف باعتباره الرد الضروري على الأوضاع التي يواجهونها في حياتهم اليومية لأنهم يتصورون أن العالم أكثر عنفاً مما هو فعلاً. لذلك إذا فكروا بأن الشخص المقابل لهم سيوجه إليهم ضربة أو سيطلق عليهم الرصاص فإنهم على الأغلب سيطلقون النار أولاً استباقياً ووقائياً أو دفاعياً لأنهم يخشون أن يحدث ذلك لهم إذا لم يقوموا بذلك. وباعتقادي أن هذه النظرية تنطبق على أوضاع العالم من الناحية الفعلية. بمعنى أن استعراض القوة ليس فقط استعراض للقوة، إنه إجراء دفاعي، حتى وأن بدا للعيان بأنه إجراء هجومي. وهو إجراء هجومي عدواني على إحدى المستويات. ولكنه هجوم مبني على الخوف. وأعتقد كذلك- وهذه الفكرة ليست من ابتكاري- بأن البشر حين يكونون في حالة من الخوف فإنهم على الأغلب سيدعمون السياسات والمرشحين الذين يركزون على التعامل مع هذا الخوف، وسيصوتون ضد مصالحهم الذاتية إذا كانوا يعتقدون بأن سلامتهم الشخصية تتطلب ذلك. وأعتقد أن من الواضح أن هذه هي إستراتيجية الحزب الجمهوري في الانتخابات القادمة عام 2004. وهي بشكل عام تقوم على الآتي: هناك أشخاص أشرار يتربصون بنا الدوائر ويحاولون قتلنا وإيذاءنا. ولدينا رجال أقوياء مستعدون لمواجهتهم حتى وإن كان

هذا العمل لا يروق للجميع. إنكم أكثر أمناً معنا، حتى وإن كنتم غير راضين عن الأحوال الاقتصادية، وحتى إن كنتم بدون وظائف ولا تحبون كل هذه المشاكل في الداخل، فعلى الأقل أنتم في أمان. وأما إذا صار الأمر إلى أولئك الأشخاص، والمقصود هنا الحزب الديمقراطي، فإن كل الخيارات معطلة، وستعرضون أنفسكم لمخاطر كبيرة لأنهم لا يملكون القدرة على التصرف وفعل اللازم لمواجهة هذا التحدي.

جيرمي إيرب: عندما ننظر إلى الفجوة "النوعية" بين الذكور والإناث نشاهد أن المرأة أقل ميولاً للتصويت لصالح الحزب الجمهوري من الرجل، فهل ما ذكرته يعني أن المرأة الأمريكية أقل خوفاً من الرجل الأمريكي؟

هناك فجوة بين الذكور والإناث في يتعلق بطريقة التصويت والميول السياسية. لا شك في ذلك. فقد كان الحزب الجمهوري أكثر نجاحاً في استقطاب أصوات الرجال البيض من نجاحه في استقطاب أصوات النساء. إلا أن هناك أعدادا كبيرة من النساء اللاتي اقتنعن بهذه النظرة العالمية. لذلك فليس من الإنصاف القول بأن المسألة مسألة ذكور وإناث. إلا أن معظم الانتخابات الوطنية منذ عام 1980 شهدت وجود فجوة ملحوظة بين الرجال والنساء في التصويت تجاه الحزبين الرئيسين. ومن المهم معاينة ذلك. وعندما درس المحللون هذه الفجوة على مدى العشرين سنة الماضية كان معظم تركيزهم على الجانب الأنثوي من هذه الفجوة. وركزت التحليلات على تأييد غالبية النساء للمرشحين الديمقراطيين. ولا شك أن هذه القضية مهمة، إلا أن المسألة التي لم تبحث جيداً هي كيف ساعدت حياة الرجال وهويتهم النوعية في تشكيل طريقة تفكيرنا السياسي وطريقة تصويتنا في الانتخابات. وأعتقد أن جزءاً من التشويش الحاصل هو أن الناس عندما يسمعون كلمة "نوع" فإنهم يعتقدون أن

المقصود بها المرأة. لذلك فإن عبارة "الجنسوية في السياسة" تعني لكثير منهم "المرأة في السياسة"، وهكذا يتم تجاهل المجموعة المهيمنة وهي طبعاً الرجال. لذلك أرى أن من المهم أن ننظر إلى جانب الرجل في الفجوة النوعية، وكيف يتصرف الرجال بناءً على محدداتنا النوعية بدلاً من الاكتفاء بمعاينة كيفية تصرف المرأة في ذلك المجال.

جيرمي إيرب: مع التسليم بذلك، استمرت هذه الفجوة بالاتساع منذ 11 سبتمبر، هل يمكن القول بأن الرجال أشد خشيةً من الإرهاب من النساء؟

لا أعتقد أن الرجال أكثر خوفاً من النساء. بل أقول بأن كثيراً من الرجال يعتقدون أنهم أدرى من المرأة بمصلحتها وبما ينفعها لأن فهمنا للرجال أحسن من فهمهن لهم. بمعنى آخر، بعض الرجال يعتقدون أنه لا بأس أن نتحدث عن الرعاية الصحية، وسوق العمل، والتعليم، ورعاية الأطفال. فهذه القضايا مهمة وتستحق الرعاية، ولكنها لا ترقى إلى أهمية سلامتنا وحمايتنا من الإرهاب. ونحن الرجال نعرف نوايا الإرهابيين، وكثير من النساء لا يفهمن ذلك. لذلك علينا أن نحافظ على امتيازنا في فهم الأخطار المحدقة بالعالم لأننا أفضل فهماً لهؤلاء الرجال من النساء. وهذا النمط من التفكير والسلوك الاستعلائي الأبوي جزء من هذه القضية. ومرة أخرى، يجب أن لا نغفل أهمية الحاجة إلى الدفاع عن أنفسنا ضد الاعتداء العنيف. ولا يمكن أبداً أن أقول بأننا لسنا بحاجة للدفاع عن أنفسنا ضد العنف. فذلك منتهى الإسفاف. ولا يمكن أن أؤيد أي برنامج سياسي لا يرد بشدّة على التهديد الموجه ضد المدنيين العزل، سواء في الولايات المتحدة أم في أي مكان في العالم. إلا أن تلك ليست هي الحجة التي يوجهها النقاد ضد بوش- بأن نجلس مكتوفي الأيدي لنكون هدفاً سهلاً للإرهاب. ولكنها تقدم للناس بهذه الشكل. والطريقة التي توصف بها في

الخطاب السياسي العام هي أننا أمام خيارين: أحدهما متشدد وصارم في ملاحقة الإرهابيين الأشرار والعنيفين. والخيار الثاني هو الاستكانة وترك المجال أمام الإرهابيين يعيثون في الأرض فساداً وتخريباً ويقتلوننا دون مسؤولية أو محاسبة. وعندما يواجه الناس هذين الخيارين فإنهم من دون شك سيقولون "فلندافع عن أنفسنا!" ووضع الخيارات بهذه الطريقة هو قطعاً غير صحيح وينطوي على مسخ سخيف للحقيقة. لذلك فإني أعتقد أن ما نحتاج إليه هو خطاب وطني أكثر عمقاً حول ما يتوفر لدينا من خيارات و بدائل عن النظرة العالمية للمحافظين الجدد، وبدائل عن رد إدارة بوش على الإرهاب. وحتى هذه اللحظة لم يكن الحزب الديمقراطي مؤثراً في فعل ذلك على المستوى الوطني، ولم يقم حتى الآن بصياغة وجهة نظر واضحة يمكن للناس العاديين أن يستوعبوها وتكون حجة مقنعة ضد السياسات القائمة للإدارة الحالية.

جيرمي إيرب: هل لك أن تتحدث حول الفجوة بين الذكور والإناث في ضوء بروز قطاع سكاني من الناخبين يطلق عليه "آباء الناسكار"؟

مرة أخرى نجد أنفسنا أمام ظاهرة الاختزال الثقافي في الخطاب السياسي. ففي الانتخابات السابقة استخدمت عبارة "أمهات السوكر" للدلالة على نساء الطبقة الوسطى اللاتي يقمن بتوصيل أبناءهن إلى المدرسة، وينصب اهتمامهن السياسي على قضايا الأسرة كالرعاية الصحية، والحضانة، وقضايا التعليم. وفي هذا الوقت نحن أمام "آباء الناسكار" وهي عبارة تستخدم للدلالة على رجال الطبقة العاملة، وبخاصة فئة الذكور من السكان البيض في الجنوب. وهذه الطبقة تتردد فيها أصداء مجموعة من القضايا وتستجيب لنوع محدد من الخطاب السياسي حول القوة والوطنية والسلاح. وقد نجح الحزب الجمهوري وإلى حد بعيد في تقديم نفسه على أنه الحزب الذي يستجيب ويلبي رغبات طبقة "آباء الناسكار" من المجتمع. ومرة أخرى هذا المصطلح هو فقط اختزال

سـيـاسي للدلالة على الناخـبين من الطبـقـة العـاملة وبخـاصـة في الولايات الجنوبية.

جيرمي إيرب: لماذا يحتاج ذكور الطبقة العاملة إلى هذه الصورة. لماذا تستهويهم؟

لو ألقينا نظرة على التحليلات الاقتصادية الدقيقة حول معدلات الأجور الحقيقية، فسنجد أن معدلات كسب عمال الطبقة الكادحة بشكل عام شهدت تراجعاً على مدى الثلاثين عاماً الماضية وذلك برغم ازدهار سوق الأسهم والطفرة التقنية وبقية عوامل الاقتصاد الكلي الأخرى. والشيء الوحيد الذي بقي على ثباته هو تراجع معدلات أجور الطبقة العاملة. لذلك، فما الذي ستتمسك به إذا كان من المفترض أنك المسئول عن إعالة أسرتك وأن تكون محترماً في مهنتك؟ فأنت تقع على هامش الاقتصاد، ولا تكسب سوى القليل من المال. وقوة كسبك المادي ليست بمستوى الكسب الذي كان متوفراً لأبويك. وليس بمقدورك أن تشتري بيتاً، وفي بعض الأحيان تجد نفسك غير قادر على إرسال أبنائك إلى الجامعة ودفع رسومهم، وعاجزاً أيضاً عن شراء الأشياء التحسينية الأخرى التي تشاهدها على شاشة التلفاز والتي يفترض أن بقية الناس يقتنون مثلها. ما هي هويتك كرجل؟ من الواضح أن هناك شيئاً واحداً يمكنك أن تتشبث به وهو أيديولوجيتك في الرجولة. أنت رجل ترعى وتحمي أسرتك. وهذا عنصر مهم، وبالتبعية أنت تدعم السياسات والحزب الذي يرعى ويحمي البلاد. وأعتقد أن كثيراً من الرجال سيصوتون لصالح سياسات تتناقض تناقضاً مباشراً مع مصالحهم الاقتصادية إذا كانت تلك السياسات تعكس تصورهم عن الرجولة. وحسبك أن تنظر إلى القضايا الرئيسة التي يشار إليها بأنها قضايا ثقافية. قضية تقييد حمل وترخيص السلاح، الإجهاض، الوطنية. في الجنوب هي قضية رفع علم تحالف الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية. كل ذلك له علاقة بالتعبير

عن هوية الرجولة بصورة رمزية. أنظر إلى مسألة حمل وترخيص السلاح على سبيل المثال، وانظر إلى لغة الخطاب الدائر حولها. من الواضح أن المسألة بالنسبة لجمهور الناخبين المتحمسين لهذه القضية هي أكثر من مجرد الاهتمام بمادة التعديل الثاني للدستور، إنها اتصال عاطفي، إنها التهيئة الذكورية للتفاعل الاجتماعي، إنها علاقة الآباء بأبنائهم حين يصطحبونهم لتدريبهم على أصول الرمي. إنها أكثر صلة بتحديد هويتهم كرجال، منها بالمبادئ الدستورية المجردة مثل مواد وثيقة الحقوق الأساسية المتضمنة في تعديلات الدستور.

جيرمي إيرب: تحدثت عن أهمية الدقة في اللغة في الخطاب السياسي والتواصل، هل لك أن تحدثنا حول الأخطاء الشنيعة التي ترد في خطابات بوش وحول جهوده في خلق انطباع عن نفسه وعن السمعة التي يشيعها عن نفسه بأنه ليس من طبقة المثقفين، وهي سمعة قد توفر غطاءً للمحافظين الجدد الذين يتولون رسم سياساته؟

من الأمور التي نجح فيها جورج بوش أكثر من أبيه هي أنه نأى بنفسه عن أصله الأرستقراطي: مولده ونشأته في الشمال الشرقي للولايات المتحدة، وانحداره من أسرة قديمة الثراء من سلالة النبلاء. وهذه السمات لا تروق للطبقة الكادحة في الجنوب وغرب وسط البلاد، أو بالأحرى في أي مكان. لذلك فإن ما نجح جورج بوش في تحقيقه هو أنه وضع نفسه في إطار يوحي للناس بأنه شخص عادي متواضع ليّن الجانب يمكن لأي شخص أن يرافقه إلى البار أو المطعم. وهو ما يناقض تماماً الانطباع السائد عن أبيه الذي كان في نظر الناس من علية النخبة الأرستقراطية. لذلك فإنني أعتقد أن عجز جورج بوش عن التعبير في كلامه وفداحة أخطائه اللغوية قد عملت لصالحه لأن ذلك يجعل منه شخصاً عادياً. بمعنى آخر هناك نزعة مناهضة للذكاء والفكر متأصلة في الثقافة الأمريكية، وهذه النزعة أكثر بروزاً لدى الرجال، وأكثر تحديداً لدى

الذكور من الطبقة الكادحة. وتحمل هذه النزعة في طياتها شعوراً بعدم الثقة في الأشخاص الأذكياء، الأشخاص المتعلمين الذين يحسنون التعبير والإفصاح في كلامهم، وذلك لسهولة وصفهم بالنخبويين. فنحن في نظرهم أغبياء، حثالة المجتمع. وقد نجح الحزب الجمهوري في مخاطبة جمهور الناخبين من الذكور البيض من الطبقة الكادحة بلسان يقول:"إننا نحترمكم، بينما يزدريكم الديمقراطيون، إنهم نخبويون، وينظرون إليكم نظرة دونية"، وقيام الحزب الجمهوري باختيار مرشحين مثل جورج بوش، وريغان، ووضعهم في الواجهة فيما يشبه الناطق الرسمي باسم الحزب، من شأنه أن يحجب نظر الطبقة العاملة عن إدراك حقيقة أن طبقة الأثرياء والنبلاء من أصحاب البنوك في نيويورك هم الذين يدعمون الحزب الجمهوري بالمال. إلا أن بإمكان الناخبين أن يتشاركوا وجدانياً مع الناطق الرسمي، المرشح على المستوى الشخصي. وإلى هذا الجانب ينبغي تحويل النقاش- بأن المسألة مسألة انطباع وصورة. فالمسألة ليست قضية فهم معمق للقضايا العامة. إنها قضية وضع الرجولة الرئاسية والانطباع المنبثق عنها. ومن العجيب حقاً قلة النقاش الدائر حول هذه المسألة، لأننا نعلم، على سبيل المثال، أن معظم مصاريف الحملات الانتخابية في ربع القرن الماضي كانت تنفق على الدعاية التلفازية للمرشحين. بمعنى آخر، عندما تتحدث عن قيام جورج بوش بجمع وتخصيص ميزانية ضخمة لإنفاقها على حملته الانتخابية، مئات الملايين من الدولارات، ومعظم هذه الأموال ستذهب إلى الدعاية التلفازية. فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الصورة الأكثر تأثيراً والتي يجري وضعها في الإعلانات التلفازية؟ وقد يخطر ببالك أن الناس ربما ينظرون إلى هذه المسألة بدقة وتعمق، إلا أن النقاش المتعلق بإعلانات التلفاز لم يتعمق في الجوانب النوعية (الذكرية والأنثوية) فيها. وتركزت المناقشات حول الادعاءات الواردة في الإعلانات وما إذا كانت صحيحة أم لا، أو ما إذا كانت مبنية على أدلة وحجج منطقية أم على لغة الخطابة- ولكننا لا نجد أي نقاش معمق حول عملية

تصنيع المرشحين كمنتج استهلاكي يشتريه الناس. إنني مهتم هنا بالتشكيل الجنسوي لهذا المرشح، وأعتقد أن الحزب الجمهوري يفهم هذا الجانب حتى وإن لم يكن باستطاعتهم التعبير عنه بالطريقة التي بسطتها هنا. وفهمها مايك ديفر، ولي آتواتر من قبل، وفهمها كارل روف وطبقها، وكذلك بقية المخططين الإستراتيجيين في الحزب الجمهوري. إنهم يدركون أنك عندما تسوّق المرشحين الجمهوريين ضمن إطار رجولي فإن الناخبين من الطبقة الكادحة سيتجاوبون لصالح هؤلاء المرشحين. فالمسألة لا تتعلق بالقضايا المطروحة بالذات. بل إن الطريقة التي تظهر من خلالها صورة وانطباع المرشح والإطار الذي توضع ضمنه القضايا هي التي تصنع الحزمة التي تضمن رواج المرشح وقناعة الناخبين به. والجانب الجنسوي أساسي في هذه الحزمة.

جيرمي إيرب: ترى من يقف وراء هذا النوع من الدعاية السياسية وصنع الصورة الأيقونية التي تحدثت عنها؟ ويمكن معاينة هذه الدعاية من طريقين، الأولى أن ننظر إلى محتواها، أو أن ننظر إلى ما خلفها ومن خلفها.

إن مما يحبطني ويحبط كثيراً من الناس هو تمكّن النخبة الفكرية من المحافظين الجدد في استخدام رجال الطبقة الكادحة واستغلالهم لدعم طموحاتهم الإمبريالية، وزيادة الميزانية العسكرية، الخ. ولا أعتقد أن المحافظين الجدد يكنّون أدنى قدر من الاحترام لهذه الطبقة، ولو كان لديهم احترام لهم لما قاموا بوضع وتنفيذ سياسات تحد من قدرة أبناء هذه الطبقة على الكسب، وتخفيض برامج التعليم ورعاية الطفل وغيرها من البرامج التي تحتاجها الطبقة العاملة في دعم أسرهم وتوفير العيش الكريم. وهذا أمر يزعجني ويزعج كثيراً من الناس فعلاً: فكم من مفكري المحافظين الجدد تجنبوا الخدمة العسكرية عندما كانوا في سن التجنيد الإجباري؟ لقد تفادوها بالكامل، ومع ذلك فهم لا

يتورعون عن إرسال أبناء الطبقة الكادحة، من البيض والسود والفقراء لكي يقتلوا ويقتلوا في سبيل طموحاتهم الإمبريالية. ولكنهم يجلسون في مكاتبهم الفارهة والأنيقة في واشنطن ونيويورك يكتبون هذه الدراسات والمقالات ويضعون النظريات والسياسات بينما يتكبد أبناء الطبقة الكادحة عناء الحرب ويتعرضون للقتل في سبيلها.

جيرمي إيرب: ولكن هل بالإمكان القول، على الرغم من ذلك كله، أن بوش هو فعلاً قائد قوي؟

كثيراً ما يشار إلى بوش بأنه قائد قوي، والسبب وراء دعم ناخبيه له هو أنهم يرون فيه شخصاً فعّالاً يضطلع بالمسؤولية، يقود، سواء كنت تتفق معه أم لا تتفق. وهناك بعض الحقيقة في ذلك. ولا أقول بأن ذلك كله غير صحيح. أعتقد أنه نجح في القيادة نوعاً ما. لقد تحرك، على سبيل المثال، من خسارة أصوات الشعب فعلاً إلى ترسيخ مواقع اليمين المتطرف ونجح في ذلك. وبإمكانك أن تقول بأنه قاد الحزب الجمهوري إلى اليمين، انتقل بحزب يميني أصلاً إلى أقصى جناح اليمين، بمعنى أنه نجح في إظهار نوع من القيادة. ولكن في المقابل يمكن القول بأن قيامه بتزوير الخطر القادم من صدام حسين، عن طريق اختلاق أدلة أسلحة الدمار الشامل، قد ابتعد عن قول الحقيقة فيما يتعلق بالسبب الحقيقي وراء احتلال العراق، بغض النظر عن ماهيتها. لماذا لم يستخدم قدراته على الإقناع والمنصة الرئاسية ومخاطبة الشعب الأمريكي لفعل ذلك: هذا هو ما يحدث، بدلاً من اختلاق الأدلة وبدلاً من التعسف في استخدام وتحوير المعلومات الإستخبارية القادمة من وكالة الاستخبارات المركزية.

جيرمي إيرب: كان الشعار المشهور والناجح لحملة كلينتون للرئاسة عام 1992 "إنه الاقتصاد، يا غبي". إذا كان لديك نصيحة توجهها إلى كيري

وإدوارد(*) الآن، فما هو الشعار الذي ترى أنه يجب أن يعلق في غرفة عملياتهم؟

في عام 2004، يحتاج الحزب الديمقراطي إلى وضع شعار يقول "إنها الرجولة، يا غبي". لأن الحزب الجمهوري سيحاول تخنيث الحزب الديمقراطي ومرشحيه. وسيحاولون توجيه حملتهم بالهجوم على رجولة مرشحي الحزب الديمقراطي. وقد نجحوا بذلك عام 1988، عندما هاجموا مايكل دوكاكس مرشح الحزب الديمقراطي مستخدمين مشهداً له وهو راكباً دبابة ويبدو فيها كالأخرق. وقد حاولوا ذلك مع كلينتون مستخدمين "التهرب من الخدمة العسكرية" إلا أنهم أخفقوا. وإنه لمن المؤكد في هذه المرة أن يقوم المخططون الإستراتيجيون بتقديم جورج بوش على أنه القائد الشديد الرجولي في مقابل هذا الديمقراطي الخائر. وبعض المصطلحات بدأت تظهر في الإعلام من الآن. ومن الأماكن التي يمكنك رصد لغة الخطاب السياسي للحزب الجمهوري هو برامج المحادثة على الراديو. على سبيل المثال، لاحظ كيف يقوم رش ليمبو بتأطير المرشحين. فهو يطلق على جون كيري عبارة "كيري الذي يشبه الفرنسيين". وهي محاولة لوصفه بالخنوثة، محاولة لوضعه ضمن هؤلاء الفرنسيين الناعمين المسالمين. وانظر ماذا يلقب جون إدوارد: "فتاة بريك". وإذا رغب الديمقراطيون بالنجاح في هذا الوقت، فعليهم أن يفكروا بطريقة لعكس هذا التوجه.

نورثمبتون، ماسيتشيوستس

26 **نوفمبر**، 2003

(*) جون كيري وجون إدوارد مرشحا الحزب الديمقراطي لمنصبي الرئيس ونائب الرئيس في انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام 2004 في مقابل جورج بوش ودك تشيني عن الحزب الجمهوري.

obeikandl.com